الطفل والقراءة (*)

للقراءة دور كبير في حياة الإنسان. والإنسان القارئ يستطيع أن يتغلب على المشكلات التي قد تتعرض مسيرة حياته، وهو أقدر من غيره على فهم فلسفة الحياة الإنسانية، وبالتالي يستطيع أن يضع لنفسه برنامج حياة منظم له ولأسرته، ويستطيع أن يكيفه وفق الظروف التي تحيط به. وقد أدرك المسلمون أهمية القراءة والتعليم منذ بداية الإسلام، فكان هناك القرّاء أو المقرئون الذين يقرؤون القرآن الكريم، وهم الذين كانت لهم القدرة على القراءة الجيدة، فكانوا يعلمون الناس والأطفال القراءة الصحيحة التي تعتبر من أهداف العلم والتعلُّم والتعليم، ليس عند المسلمين فقط، ولكن عند كل الأمم والشعوب. وظهر في العصر الأموي والعصر العباسي ما يسمى «بالمؤدبين»، الذين تحصلوا على أجور عالية مقابل تعليمهم الأطفال القراءة والكتابة، فكان المؤدبون يعلمون الطفل القراءة، ثم قراءة القرآن الكريم والشعر والأدب، واستخدموا طرقاً وأساليب متعددة في تعليم الأطفال القراءة والكتابة، وتشجيعهم على حب العلم منذ سن الطفولة.

وأهم مرحلة من مراحل تعلم القراءة عند الأطفال هي مرحلة «الاستعداد للقراءة»، وعليها يتوقف نجاح الطفل في حياته في المراحل التي تليها، وما يبديه من استعداد لها، فإما أن ينشأ على عادة حب القراءة والاستمرار فيها مدى حياته: وإما أن تتولد لديه كراهية هذه العادة، وهو أمر له خطورته في حياة الطفل والمجتمع الذي يعيش فيه. وهنا يجب أن نحاول بكل قوتنا وجهدنا أن نشجع الأطفال على القراءة، وأن نستخدم حوافز من شأنها جعل الطفل يرغب فيها وينشأ على حبها والتعلق بها، ونكون بذلك قد أسدينا واجباً عظيماً نحو أطفالنا ونحو المجتمع، من أجل أن يكون مجتمعاً سعيداً قارئاً مثقفاً خالياً من أمراض الجهل والتخلف.

ويرى بعض الخبراء في مجال القراءة أن المجهودات الأولى التي يبذلها الطفل لتعلم القراءة لا تتم عند دخول الطفل المدرسة في الصفوف الأولى من بداية الدراسة

(*) نشرت بمجلة الناشر العربي، ع9، 1987.

الابتدائية عندما يصل الطفل إلى السادسة من عمره فحسب، بل إن الغالبية العظمى من الأطفال يكونون قد خبروا المادة القرائية في مرحلة مبكرة من طفولتهم الأولى قبل المدرسة، عن طريق الكتب والمجلات والجرائد والإعلانات التي أصبحت جزءاً من ثقافة الناس. ودلت الدراسات أن هناك دافعاً طبيعياً يدفع الأطفال إلى الاهتمام بالكتب، وينشأ لديهم في سن مبكرة، ويستمر هذا الدافع معهم حتى يبلغ قمته عندما يتعرّف الأطفال على معاني الرموز المكتوبة، ويتم ذلك عند وصولهم السادسة من عمرهم تقريباً[1].

كذلك تشير الدلائل إلى أن من أهم الطرق التي تؤدي إلى استمرار عادة القراءة مدى الحياة هي إغراء الأطفال وجذب انتباههم إلى الكتب والقراءة منذ السنوات الأولى من العمر. ويعمل المتخصصون والمهتمون في مجال تنمية القراءة على وضع وإيجاد العديد من البرامج الخاصة التي تهدف إلى العناية بالطفل منذ الصغر، وربطه بعادة القراءة حتى تستمر معه مدى حياته. ومن بين المجهودات التي بذلت من أجل تنمية القراءة، مجهودات تتعلق بتوزيع مواد القراءة، وأخرى تتعلق بعدد من المهرجانات والاحتفالات التي تصمم خصيصاً لأجل ربط الطفل بالكتاب، والجوائز التي تمنح لكتب الأطفال الجيدة، وبعضها يتعلق بالقراءة داخل الفصول المدرسية، وأخرى تتعلق بتوسيع آفاق الذين يعملون مع الأطفال حول أدب الأطفال والقراء الصغار، والمسابقات، وغير ذلك من البرامج والأنشطة التي تهدف أساساً إلى تنمية القدرة على القراءة وتحبيب هذه العادة إلى الطفل[2].

وكما سبق أن ذكرنا، فإن أهم مرحلة في حياة الطفل هي مرحلة الاستعداد أو التهيؤ للقراءة، التي يشكل تمييز الأصوات ومعرفة معاني الألفاظ واستعمال كثير من الكلمات، التي اكتسبها الطفل من خلال المحيطين به من بيئته أو من خلال الكتب المصورة أو حكاية القصة، جزءاً مهماً من هذه المرحلة. ويرى البعض أنه «كلما زاد ما

---

(1) ماريون مونرو. تنمية وعي القراءة. ط2. ترجمة سامي ناشد. القاهرة: دار المعرفة، 1978، ص 24.

(2) Ralph C. Staiger. Roads to Reading. Paris: UNESCO, 1979, p.71 .

تتضمنه خبرة الطفل من معلومات وإدراك لكثير من موضوعات القراءة كانت الفائدة المستمدة من كتاب القراءة كبيرة، وكلما تنوعت خبرات الطفل وعى ما يقرأ»[1].

وهناك أمر مهم يجب أن يوضع في الاعتبار وهو «أن الأطفال يختلفون فيما بينهم في السنة التي يتهيؤون فيها للقراءة تماماً كما يختلفون في السن التي يستطيعون فيها أن يقفوا على أرجلهم لأول مرة، أو يخطوا خطواتهم الأولى، أو أن يمسكوا بفنجان، أو يتكلموا، وكما يختلفون في ألعابهم وميولهم الاجتماعية وكما يختلفون في صفاتهم الشخصية وبيئتهم المنزلية ولون شعرهم»[2]. ولذلك فإن أي محاولة لإجبار الطفل على تعلم القراءة قبل أن يستعد لها عقلياً وجسمياً وعاطفياً، هي محاولة فاشلة، والجهد المبذول فيها جهد ضائع، ولا يمكن أن تأتي بشيء مفيد. بل ربما يترتب عليها كثير من الأمور التي قد تكون سبباً يعوق نمو الطفل ويصعب تلافيها فيما بعد. كذلك قد تولد مثل هذه المحاولات لدى الطفل كرهاً شديداً للكتب وغيرها من مواد الثقافة الأخرى ووسائطها، وربما تغرس فيه عداءً كبيراً لمدرسته ومعلميه، نتيجة ارتباط المعلم والمدرسة بالقراءة.

وهناك بعض العوامل الأخرى التي يمكن أن تؤثر في استعداد الطفل للقراءة؛ مثل الحالة الجسمية التي تشمل النظر والسمع والصحة العامة، وهي عوامل تعتبر مهمة في نجاح الطفل في تعلم القراءة، حيث إن أي خلل في هذه العوامل يمكن أن يعيق الطفل ويقف حائلاً دون تعلمه القراءة، كالضعف في البصر أو السمع، حيث تختلط الأصوات على الطفل وبالتالي يتعلمها بشكل خاطئ، في حين أن الصحة الجيدة للأطفال تساعدهم على التعلّم؛ ولأجل ذلك يفحص الأطفال فحصاً جسمياً جيداً أو دقيقاً قبل التحاقهم بالمدرسة، ومعالجتهم من العيوب والعاهات إذا كان علاجها ممكناً[3]. ومن هذه العوامل أيضاً درجة ذكاء الطفل التي يمكن معرفتها

---

(1) بول ويتي. الطفل والقراءة الجيدة. ط2. ترجمة سامي ناشد. القاهرة: مكتب النهضة المصرية، 1965، ص 28.

(2) نفس المصدر، ص 29.

(3) نفس المصدر، ص 30.

عن طريق اختبارات الذكاء، التي تعيننا مع غيرها من المعلومات الأخرى ذات الصلة بالطفل، على معرفة مدى استعداد الطفل للقراءة. ويمكن لاختبارات الذكاء هذه «أن تمنح الآباء والمعلمين فكرة أدق عن أطفالهم، وعما تؤهلهم له قدراتهم في أحسن الظروف، كما تبين كيفية تطبيق أساليب تعليم القراءة وتعديل أصولها، بحيث تتفق وقدرة الطلاب على اختلاف مستوياتهم العقلية»[1].

والعامل الحيوي والمهم الذي له أثره في تقوية الاستعداد للقراءة عند الطفل، ويكون له الدور الكبير في حياته هو البيت، خصوصاً في الفترة التي تسبق التحاق الطفل بمرحلة الروضة أو دخوله المدرسة الابتدائية. وكلما كان الأب أو الأم من ذوي التعليم والثقافة العالية، ساعد ذلك الأطفال على أن ينشأوا في بيئة ثقافية صحية، وتتفتح عيونهم على الأب أو الأم وهما يقرآن كتاباً أو مجلة أو جريدة، وربما يقوم الطفل الصغير بمحاولة نزع الكتاب أو المجلة من بين يدي أبيه أو أمه، في محاولة التعرف على هذا الشيء الذي يشد انتباه الأب أو الأم. وقد يكون هذا العمل من طرف الطفل بادرة لأن يحضر الأب أو الأم بعض الكتب المناسبة والمعدة خصيصاً للأطفال الصغار كالكتب المصورة، في محاولة منهما لإيجاد صداقة قوية ورابطة متينة بين طفلهما والكتب، خصوصاً إذا كان الأبوان مدركين لأهمية القراءة في حياة الفرد والأسرة. وقد تجذب هذه الكتب الأطفال الصغار ما تحتويه من صور جميلة وألوان زاهية جذابة، أو بما تحدثه من أصوات إذا كانت من ذلك النوع الذي يحدث صوتاً بمجرد الضغط عليه. وبمرور الزمن والأيام نجد أن الرابطة تقوى، وعلاقة الحب تنشأ بين الطفل والكتاب، وإذا نشأت هذه العلاقة على أساس طيب وسليم، فإنها بدون شك ستبقى مع الطفل في شبابه وتستمر معه مدى حياته.

الطفل العربي:

ولكن هل يجد الطفل العربي من أسرته هذا الاهتمام الذي يجده طفل آخر في بعض بقاع الدنيا؟ وهل تفسح الأسرة العربية على امتداد الوطن العربي الطريق أمام

---

(1) نفس المصدر، 31.

تثقيف الطفل العربي، وتوفر له الجو المناسب الذي يجعله على علاقة قوية بالكتب والمواد الثقافية الأخرى، مما يجعل مستقبله الثقافي والعلمي يبشر بحياة سعيدة؟

والحقيقية أننا لا يمكن أن ننفي وجود عدد من العوامل السلبية التي تمنع الأسرة العربية من القيام بواجبها نحو رعاية الطفل والاهتمام به، والقيام بدورها الإيجابي الذي يجب أن تقوم به حيال الطفل، حتى ينشأ نشأة سليمة واعية تمكنه من شق طريقه بثبات في المستقبل. ومن بين هذه العوامل «ما هو نابع من نمط تركيب أو تشكّل الأسرة العربية التي تعطي أولويات لعوامل السن (خضوع الأصغر سناً للأكبر سناً) والجنس (خضوع المرأة للرجل) وغير ذلك من العوامل»[1]. وهناك أيضاً بعض المشكلات الأخرى التي لها دورها في عدم تمكين الأسرة من القيام بدورها الصحيح نحو الطفل، مثل مشكلة الأمية التي لا يزال نصيب الأسرة العربية منها كبيراً، على الرغم من الجهود التي تبذل للقضاء عليها من طرف الهيئات والمؤسسات الرسمية والشعبية والبرامج المعدة لذلك؛ وكذلك مشكلة الفقر في العديد من الدول العربية، وهي مشكلة لها دور في انقطاع الآباء والأمهات عن التعليم في سن مبكرة، والبحث عن طرق أخرى للرزق؛ وهناك مشكلة أخرى في غاية الأهمية بالنسبة لنشأة الطفل وهي مشكلة افتقار الأسرة «للثقافة النفسية وللدراية بأحوال الطفل ومراحل نموه، مما يؤدي في النهاية إلى أن تلعب الأسرة دوراً مسيئاً للطفل ولطاقته، ومعوقاً لقدراته الخلاَّقة المبدعة، فتعطل و تشوش مسار نموه»[2].

وعلى الرغم من وجود العوامل التي ذكرت، فإن الذي يجعلنا نتفاءل ونأمل خيراً للأسرة العربية، وبالتالي لأطفالنا في المستقبل، هو وجود العديد من البرامج والأنشطة في الوقت الحاضر التي تهدف إلى تثقيف الأسرة العربية، وتعريفها بواجبها نحو طفلها وما يجب أن توفره له من جو مناسب ورعاية سليمة. وهذه البرامج والأنشطة يقوم بها ويشرف عليها الاتحادات والجمعيات والروابط النسائية

---

(1) ذكاء الحر. «مشكلة ثقافة الأطفال في عصرنا». الفكر العربي، ص 2، ع 17 ـ 18، ديسمبر 1980، ص 240.

(2) نفس المصدر.

العربية والمعاهد التربوية، وجمعيات الطفولة والمؤسسات الثقافية الأخرى في المجتمع بالإضافة إلى ما تقوم به مراكز الخدمة الاجتماعية في هذا المجال.

وهناك العديد من التوصيات والمقترحات التي تهدف إلى تشجيع الطفل على القراءة، وتساعده على تنمية ميوله القرائية إذا وجدت نوعاً من الاهتمام بها من طرف الأسرة، وعملت على اتباعها، كأن يكون الكتاب جزءاً أساسياً ومهماً في حياة الأسرة اليومية، حيث يمكن أن يتناقش الأب والأم أمام الأطفال عن الكتب التي قاما بقراءتها لبيان وتوضيح أهمية قراءة الكتب وغيرها، وحث الأطفال على مشاهدة البرامج المرئية التي تتحدث عن الكتب أو تُعرِّف بها، كذلك أن تقوم الأسرة بتخصيص جزء من ميزانيتها، ولو كان قليلاً، لشراء ما تحتاج إليه من كتب ومجلات وتعطي الفرصة للطفل لشراء ما يراه مناسباً له بنفسه، وتعويده على عادة اقتناء الكتب والمجلات وغيرها، وأن تستمر الأسرة في اتباع هذه العادة ولا تنقطع عنها، ثم إن الأسرة يجب أن تعوِّد الطفل على ارتياد المكتبة العامة أو مكتبة الأطفال الموجودة بالمنطقة التي تسكن فيها الأسرة، حيث إن زيارة المكتبة تمكن الطفل من التعرف على أنواع كثيرة من الكتب والوسائط الأخرى التي لها دورها في تحصيل العلوم والمعارف، وتدربه على استخدام الكتب واختيار ما يراه مناسباً له منها، وتخلق عنده صلة وثيقة وطيبة بالمكتبة تستمر معه مدى حياته[1]. ومن هذه المقترحات أيضاً أنه «ينبغي تشجيع كل مبادرة عند الطفل للقراءة، بل يجب إن لم نشاهدها منه أن نخلقها، مستحثينه على تصفح مجلة نعدها له أو كتاب نهيئه له، ولنتصور الفرق بين طفلين أحدهما قد اعتاد والده على استحضار ما يصدر من الكتب والمجلات والقصص ـ علاوة على ما يقتنيه ـ والتفرغ لقراءة ما يمكنه وقته من قراءتها، وثانيهما تبخل أسرته بالقرش ينفق في شراء قصة أو كتاب ما دام لن يمتحن فيها وليدها»[2].

وعند دخول الطفل المرسة الابتدائية، وخصوصاً الصف الأول منها، فإن مساعدة المدرس تكون مرغوبة، على الرغم من أن تعلم القراءة هو غرض شخصي

---

(1) رشدي أحمد طعيمة. «في البيت يتكون الطفل القارئ». العربي، ع 278، ص 122.
(2) نفس المصدر، ص 123.

خاص بالفرد، ولا يقف عند حد معين. وهناك بعض المدرسين الجيدين في طرق تعليمهم القراءة للأطفال يسيرون وفق أهداف طويلة المدى لأجل إنجاز مهارة القراءة لدى الطفل. ومن هذه الأهداف، الأهداف التالية[1]:

1 ـ تشجيع الطفل على استخدام قدراته استخداماً كاملاً أثناء قراءته، مما يعود على ثقافته بناحية إيجابية ويؤثر تأثيراً إيجابياً في تحقيق ذاته.

2 ـ الاستخدام الجيد للقراءة كأداة للتعليم والتثقيف، وكذلك استخدام القراءة كأداة من أدوات التسلية والمتعة.

3 ـ توسيع اهتمامات الطفل القرائية أكثر مما هي عليه.

4 ـ تشجيع الاتجاه نحو القراءة الذي يؤدي إلى الاهتمام المستمر بقراءة العديد من الموضوعات في مختلف المجالات والأغراض.

وبما أننا لا نستطيع الحكم على استعداد الأطفال للقراءة عن طريق عامل واحد بمفرده، حيث إن معظم العوامل الأخرى؛ مثل نمو الطفل العاطفي والاجتماعي، وحالته الصحية، وعمره العقلي، ونموه اللغوي، وقدرته على التعبير، وميوله وخبراته التي تحصل عليها قبل دخوله المدرسة، تعتبر عوامل مهمة يجب أن ننظر إليها بعين الاعتبار، فقد وضعت عدة مقترحات من جانب المتخصصين في شؤون القراءة تمكن الطفل من اجتياز مرحلة الاستعداد للقراءة، وتسهم في ربط الطفل بالكتاب، وتجعله يتعود على القراءة المستمرة، التي بإمكانها بلورة مفاهيم الطفل ورفع مستوى تحصيله المعرفي، الأمر الذي يعود على المجتمع بالخير والتقدم، ومن هذه المقترحات ما يلي[2]:

1 ـ تزويد الطفل بعدد من الخبرات قبل ذهابه إلى المدرسة: وحيث إنّ موضوعات القراءة في المدرسة تدور حول أشياء متعددة، فلنعط الطفل فرصة الاتصال المباشر بالأشياء الحقيقية، ولنتركه يتعلم من خلال الملاحظة والرحلات،

---

(1) Ralph. C. Staiger. «Reading in today's world». In the teaching of Reading Edited by Ralph C. Staiger. Paris: UNESCO, 1973, P.19.

(2) بول ويتي، ص 34 ـ 40.

ومن خلال الزيارات الميدانية؛ كزيارة بعض المصانع والمتاحف وحدائق الحيوان والأسواق والمطار والميناء. . إلخ، وندعه يتحدث عما شاهده مع مناقشة ما يقوله. وهذه الخبرات الميدانية والمناقشة والحديث تكوّن عند لطفل ثروة لغوية وعدداً من الأفكار تفيده في المدرسة أو خارجها أيضاً.

2 ـ الصبر على أسئلة الأطفال: إن الأسئلة التي يوجهها الأطفال لأولياء الأمور وغيرهم تعتبر من العوامل المهمة التي تؤثر في شخصية الطفل. وإجابتنا عنها هي غاية في الأهمية عند الأطفال، حيث إنه عن طريق الإجابة عن الأسئلة الموجهة منه، يمكن أن يلم الطفل بمعلومات تساعده على معرفة العالم من حوله، وتفسح المجال أمامه لقراءة الكتب التي تحدثه عن أشياء كثيرة عن الشعوب والدول المحيطة ببيئته التي يعيش فيها. والجانب المهم في هذه النقطة هو أنه يجب أن تكون الإجابة عن أسئلة الأطفال مناسبة لسنهم، وكذلك يمكن حثهم على الوصول إلى الإجابة والتحقق من صحتها بالرجوع إلى ما عندهم من تجارب وخبرات مباشرة، أو عن طريق بعض الملاحظات الشخصية.

3 ـ معاونة الأطفال على التعبير عما يدور بخاطرهم، وعلى استعمال الكلمات ونطقها في دقة قدر الإمكان: وهذا يعني ترك الطفل يعبر عن نفسه وعما يدور في خاطره، والتغاضي عن بعض أخطائه التي قد يرتكبها دون أن نضايقه، وعدم إشعاره بأننا نلاحق أخطاءه فيما يقول. كذلك يجب أن نظهر له الاهتمام بما يقوم به من محاولات للتعبير عما في نفسه، فنستمع له عندما يتحدث عن أنواع الأنشطة المختلفة التي قام بها، وتشجيعه على الكلام في وضوح ودقة، ومعاونة الأطفال على التعبير عما يودون أن يطرحوه جيداً إذا رأينا أن هذه المعاونة يجب أن يكون فيها متعة له.

4 ـ معاونة الأطفال على سماع القصص والحكايات والاستمتاع بها، وعلى حب الكتب والقراءة: حيث يمكن أن نقرأ للطفل عدداً من القصص التي يستطيع أن يفهمها ويستمتع بها. وهذه العملية قدتولّد لدى الطفل الإحساس بالقصص والقدرة على فهم المعاني الموجودة بها. كذلك يجب أن نحضر له عدداً من الكتب المصورة المناسبة لمراحل نموه العقلي، ومساعدته على تصفحها وتقليب صفحاتها، والتمتع بما تحويه من صور جميلة ورسوم وألوان زاهية جذابة معبرة.

وقد يساعده هذا على تقبل الكتب وحبها عند دخوله المدرسة، فلا تصبح الكتب عنده من الأمور غير المرغوب فيها.

5 ـ معرفة وإدراك أن الأطفال لهم الرغبة في تعليم القراءة: وقد دلت الدراسات على أن الأطفال لهم الرغبة في تعلم القراءة مثل الرغبة في المشي والأكل دون معاونة أحد، حيث يمكن أن نلاحظ طفلاً في الثالثة من عمره يحاول أن يعي ما هو موجود في ملاحق الصحف الملونة، أو نلاحظه يحاول أن يتناول كتاباً من الكتب الموجودة على الطاولة الخاصة بأمه أو أبيه، ثم محاولة تقليب صفحات الكتاب والقيام بعدد من الحركات التي تصاحب عملية القراءة.

6 ـ يجب عدم دفع الطفل قبل المدرسة لتعلم القراءة دفعاً إجبارياً: حيث إن الطفل إذا لم يكن مستعداً للقراءة، فإن هذا لا يمكن أن ينتج عنه سوى الارتباك وتثبيط الهمة، وربما ينتج عنه الكره الشديد للقراءة، الأمر الذي تكون عاقبته سيئة على الطفل والأسرة في المستقبل، ثم على المجتمع بعد ذلك. والدفع أو الإكراه على تعلم القراءة يحول دون نجاح الطفل في القراءة في المستقبل، ويكون سبباً في التأخر في تعلم القراءة إذا لم يكن سبباً في كرهها والبعد عنها. إلاَّ أنه يمكننا أن ندرب الأطفال على الاهتمام بالقراءة وخصوصاً القراءة الكلية، أي عدم تدريبهم على الاهتمام بالحروف المنفصلة بعضها عن بعض، حيث ينتج عن هذا العمل بعض الأمور التي من شأنها أن تعيق الطفل في تقدمه في القراءة بعد ذلك. ويرى عدد من الخبراء في هذا المجال أنه لا ينبغي لأولياء الأمور أن يعلموا أطفالهم القراءة إذا كان في مقدور الأطفال القيام بأمور أخرى غيرها؛ كمعاونتهم على الاستعداد والتهيؤ للقراءة بأساليب معينة. وهذا لا يعني أنه إذا سأل طفل عن حرف من الحروف أو عما تدل عليه علامة من علامات الكتابة أن لا نجيبه، حيث لا مانع من الإجابة في مثل هذا الحال، حيث إن الأسئلة أو الاستفسارات هذه ما هي إلاَّ تعبير عما يدور بداخل الطفل، وما علينا إلاَّ المحافظة على ما يتسم به هذا الموقف التعليمي من حرية وإنطلاقة، وأن نبادر إلى الاسترشاد بالميول القرائية للطفل السائل.

7 ـ يجب على الآباء والمعلمين العمل معاً من أجل الطفل: حيث إن الآباء والمعلمين يجب أن يتعرفوا على الإشارات أو العلامات التي تدل أو تشير إلى استعداد الطفل للقراءة، ويجب أن ينتبه أولياء الأمور والمعلمون إلى أي عائق قد يحول دون تقدم الطفل في المدرسة. والتعاون بين الآباء والمعلمين أمر مرغوب وله أهمية في حياة الطفل المدرسية. واللقاء بينهم من شأنه أن يعرّف الآباء على البرامج والأنشطة المختلفة التي تتبعها المدرسة في تعليم الأطفال القراءة، ويعرّف المعلمين على خبرات الطفل قبل التحاقه بالمدرسة، مما قد يساعد على تمكينهم من خلق الرغبة لدى الطفل في القراءة.

ومن الجدير بالذكر أن معظم الأمم والشعوب قد اهتمت بتشجيع عادة القراءة بين الناس، وعملت على نشر هذه العادة بين فئات الشعب المختلفة. وتقوم كثير من الدول النامية في الوقت الحاضر بحملات موسعة ومكثفة لمحو أمية أبنائها، ونشر القراءة والثقافة بين الجميع. كذلك فإن الدول الأوروبية وأمريكا والاتحاد السوفييتي وغيرها، لا تزال تعمل على تشجيع الاهتمام والاستمرار في القراءة عن طريق التشريعات الجديدة، وإعادة النظر في التشريعات القديمة الخاصة بتنظيم طرق القراءة ووسائلها. وقد عقدت العديد من المؤتمرات والملتقيات والندوات الدولية التي تحث الدول والمجتمعات على تشجيع القراءة، وجعلها جزءاً من حياة الأفراد في مختلف الدول، وهذه المؤتمرات والندوات على المستوى الدولي تؤكد أهمية القراءة ومكانتها وأثرها في تقدم الفرد والمجتمع. ومن خلال الاهتمام الكبير من طرف معظم الدول بالقراءة «يمكن الوصول إلى حقيقة هامة، هي أن الوظيفة الاجتماعية للقراءة قد تغيرت وأصبحت ظاهرة اجتماعية لها دلالتها الخاصة»[1]. كذلك ظهر العديد من الاتجاهات الأساسية التي توضح تطور الوظيفة الاجتماعية للقراءة، مثل الاتجاه الذي يرى «أن القراءة قد أصبحت من أهم وسائل تطوير الوعي الاجتماعي بين الناس، خصوصاً فيما يتعلق بالمعتقدات الفكرية والأخلاقية وقيم

(1) محمد أمين البنهاوي. عالم الكتب والقراءة والمكتبات. جدة [السعودية]: دار الشروق 1980، ص 90.

الإنسان العصري»[1] ومن بين تلك الاتجاهات أيضاً ذلك الاتجاه الذي يوضح «أن القراءة أصبحت تستخدم كأداة مكملة للجهود الرامية إلى التعليم المستمر ورفع المستويات الحضارية . . كذلك فإن القراءة أصبحت وسيلة لزيادة المعرفة والمهارات الفنية المختلفة وأنها تدفع الناس دفعاً نحو حياة أكثر نشاطاً وابتكاراً»[2] .

ويتخذ التشجيع على عادة القراءة طرقاً وأساليب متنوعة في كثير من الدول الأوروبية والإفريقية والآسيوية التي تسعى إلى الارتقاء بعادة القراءة عند الفرد، لتصبح جزءاً مهماً من حياته لا يستطيع أن يعيش بدونه . ومن هذه الطرق معارض الكتب وأسابيعها ومهرجاناتها، التي تقام وتنظم في مختلف دول العالم . ويمكن أن تنظم هذه المعارض والأسابيع والمهرجانات على مستوى دولي أو قومي أو محلي . وهي جميعها، على اختلاف أساليب تنظيمها، تهدف إلى نشر الكتب بين عموم أفراد المجتمع . وتتخذ بعض هذه المعارض والمهرجانات أسماء مختلفة تدعو الناس إلى عالم القراءة الواسع من أجل مزيد من المعرفة واكتساب الخبرات التي تدعم مسيرة حياة الفرد المهنية أو الاجتماعية أو الثقافية . ففي كندا مثلاً ينظم عدد من لجان الكتب الكندية مهرجان الكتب تحت اسم «من أجل حب الكتب»، ويهدف المنظمون له الوصول إلى عدة أهداف، أهمها خلق حدث يساعد على تركيز انتباه الناس لحركة النشر، والتأليف، والكتب في بداية كل فصل خريف . وفي سنغفورة ينظم مجلس سنغفورة الوطني لتنمية الكتاب، ورابطة ناشري الكتب في سنغفورة «مهرجان الكتب» الذي يتضمن معرضاً للكتاب يقام في قاعة أحد الفنادق الكبرى هناك . ومدة الاحتفال بهذا المهرجان عشرة أيام، تدفع تكاليفه من خلال اشتراك الناشرين في المعرض . ويشترك في هذا المهرجان والمعرض ناشرون من سنغفورة بلغاتها الأربع الإنجليزية، والصينية، والماليزية، والتاميلية، بالإضافة إلى ناشرين من دول أخرى . وتقام حملة إعلامية عن هذا المهرجان تتخذ شكل توزيع محتويات برامج وأنشطة المهرجان، وملصقات خاصة لهذا الغرض على جميع الجامعات

(1) نفس المصدر، ص 91 .

(2) نفس المصدر .

ووزارة التربية وعلى جميع المدارس في سنغفورة، البالغ عددها حوالي خمس مئة مدرسة، ويشارك أطفال المدارس في مسابقات تصميم غلافات الكتب، ومسابقة كتابة الشعر باللغة الصينية والماليزية لطلبة المدارس الثانوية، بالإضافة إلى حكاية القصص القصيرة والمسرحيات لتلاميذ المدارس الابتدائية. ومعظم هذه المسابقات تقوم بتنظيمها المكتبة الوطنية في سنغفورة، أما جمعية مكتبات سنغفورة، فتنظم لهذه المناسبة مسابقة «كتابة المقالات» في موضوع المكتبات وعلاقتها بهذا المهرجان. وتسهم في إنجاح المهرجان المؤسسات الحكومية التي لها عضوية في «المجلس الوطني لتنمية الكتاب»؛ مثل المكتبة الوطنية، والمكتبات العامة، ووزارة الثقافة. ومن الأشياء التي يجب ذكرها عن هذا المهرجان، أن معظم القائمين على إقامته والعاملين به هم من المتطوعين الذين لا يتقاضون أي أجر مادي على ذلك[1]. وأمثال هذه المهرجانات والاحتفالات الخاصة بتشجيع القراءة وحب الكتب تنتشر في معظم الدول الأوروبية والولايات المتحدة وغيرها.

وفي الاتحاد السوفييتي فإن «أندية الكتب» تعتبر إحدى الوسائل التي تعمل بها الدولة على تشجيع عادة القراءة بين المواطنين. وخير مثال لذلك ما تقوم به «رابطة محبي الكتب في اتحاد الجمهوريات السوفييتية» من أنشطة وبرامج. وتسعى هذه الرابطة من خلال مراكزها المنتشرة في عموم جمهوريات الاتحاد السوفييتي إلى إنشاء وإقامة شبكة من أندية «عشاق أو محبي الكتب» على مختلف المستويات، حيث يستطيع أعضاء هذه الأندية أن يتقابلوا في نادٍ قريب من مكان عملهم، أو ناد قريب من محل سكناهم. وتعدد الأنشطة التي تقوم بها هذه الرابطة. فهي تقوم بتنظيم الأمسيات الأدبية لعشاق الكتب بمشاركة المؤلفين ورواة القصة، والموسيقيين، حيث يستطيع القارئ العضو أن يقابل كاتبه المفضل، أو ناشراً، أو ربما ليستمع إلى الموسيقى فقط، أو ليشتري كتاباً يرغب في اقتنائه. وتقام مناقشات للأعمال الأدبية الجديدة في محاضرات وحلقات نقاش، كما تقوم مراكز توزيع

(1) Ralph C. Staiger. Roads to Reading. P. 42 - 44.

الكتب بتنظيم معارض الكتب وغيرها بمشاركة المؤلفين والفنانين وغيرهم ممن لهم علاقة بعالم الكتاب[1]. وهناك بعض الدول تستخدم وسائل الإعلام؛ مثل الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية والسينما كأداة للدعوة إلى القراءة، واستخدام الكتب والمكتبات لرفع المستوى الثقافي للأفراد على اختلاف أعمارهم ومستويات تعليمهم. ففي جمهورية تنزانيا الاتحادية ثم توزيع أكثر من ستة آلاف جهاز إذاعة مسموعة لاستخدامها من طرف «المجموعات المستمعة» التي نتجت عن برامج تعليم القراءة ومحو الأمية، التي تقام على نطاق واسع في هذا البلد الإفريقي. وتتلخص طريقة استخدام الإذاعة المسموعة في الحث على القراءة في أن يقوم أحد المتخصصين بمناقشة موضوع معين وعرضه، وفي نهاية البرنامج يقوم بذكر عناوين مجموعة من الكتب التي يمكن أن تستخدم للحصول على معلومات أكثر حول هذا الموضوع، ويمكن أن يذكر أرقام الصفحات أو أي إرشادات أخرى للمستمعين؛ لحثهم وحفزهم على مزيد من القراءة. كذلك تناقش في برامج أخرى موضوعات متعددة لها علاقة بالقراءة؛ مثل التعليم المستمر باستخدام المكتبة، وقواعد استعارة الكتب، وكيف تقضي وقت الفراغ، والعلاقة بين المعلم والمكتبة، وخدمات المكتبات في الريف، وماذا يجب أن تقرأ، وماذا يوجد للقراءة، وكيف تستخدم الكتب في المناقشة الجماعية، وكيف تقرأ الصحف. وبعد مناقشة كل موضوع من الإذاعة يتم توجيه سؤال أو عدد من الأسئلة إلى المستمع لكي يجيب عنها. وجميع الأسئلة لها علاقة بدفع المستمع إلى المزيد من القراءة[2].

أما الإذاعة المرئية، فإنها إذا وجهت توجيهاً سليماً فيمكن عن طريقها مضاعفة الاهتمام بالقراءة وآفاقها الواسعة، خاصة من خلال تقديم برامج تثير الرغبة في اقتناء الكتب والمجلات وغيرها وقراءتها، كما أن قدرتها «على تبسيط المعلومات المعقدة يمكن أن تدفع الناس إلى البحث في موضوعات لم تكن ذات أهمية لهم من قبل، حيث اكتشف أمناء المكتبات وموزعو الكتب في أكثر من دولة

---

(1) نفس المصدر، ص 51 ـ 52.

(2) نفس المصدر، ص 53 ـ 54.

أن مشاهدي التليفزيون، كباراً وأطفالاً، كثيراً ما يسألون عن كتب تبحث في موضوعات حازت اهتمامهم عند مشاهدتهم لبرامج تليفزيونية»[1].

تلك كانت بعض الطرق والأساليب التي تستخدم في عدد من الدول لتشجيع الناس ـ أطفالاً وكباراً ـ على أن تكون عادة القراءة جزءاً من حياتهم كالغذاء والماء والهواء. ولكن ماذا عن الوطن العربي؟ هل هناك أي تشجيع لعادة القراءة التي تشكل عاملاً حيوياً في بلورة مفاهيم المواطن العربي، وتعريفه بقضايا أمته وما تتعرض له من ضغوط في هذا الوقت؟.

الحقيقة قد تكون الإجابة السلبية نوعاً من التجني على بعض البلدان العربية التي تحاول أن تشجع المواطن فيها بالتعود على القراءة المستمرة، لأنها الطريق الوحيد الأكثر نجاعة في جعله على علم وإحاطة بما يدور حوله. ولكن إذا قارنَّا ما تقوم به البلدان العربية مجتمعة بما تقوم به دول أخرى، لما وجدنا أي نوع من المقارنة. فالبرامج التي تدعو لتشجيع الأفراد على اعتياد عادة القراءة قليلة، والأموال التي تصرف على برامج وأشياء أخرى، خاصة في الإذاعة المسموعة والمرئية، أقل في أهميتها من برامج الحث والتشجيع على القراءة والتعلم والتعليم المستمر، أموال كثيرة جداً، وفائدة البرامج التي تصرف عليها هذه الأموال لا تذكر. وربما تترك عملية التشجيع على القراءة وخلق الاستعداد لها عند الأطفال لرياض الأطفال والمدرسة الابتدائية، باعتبار أنها المكان الذي يجب أن يبدأ الطفل تعلم القراءة فيه. وعدم وجود برامج متعددة ومتنوعة تهدف إلى التشجيع على تعلم القراءة عند الأطفال وعلى التعود عليها عند الكبار، لا أعتقد أن مرده الجهل بأهمية القراءة في حياة الإنسان، ولكن مرده عدم الاهتمام بها من طرف المسؤولين وأصحاب القرار، الذين لم ينشأوا على عادة القراءة، وبالتالي لم يتولّد عندهم الاهتمام بهذه العادة، والعمل على أن تكون جزءاً من مسؤولياتهم الدعوة إليها والعمل في سبيل نشرها على مستوى واسع.

---

(1) بسيوني الحلواني. «أثر التليفزيون على القراءة». القافلة، ج 32، ع 11، يوليو ـ أغسطس 1984، ص 21.

وما يدعونا إلى التفاؤل بانتشار هذه العادة في المستقبل هو وجود بعض البرامج الموجهة للأطفال التي تهدف فيما تهدف إليه حث الطفل على القراءة، والتعود عليها وجعلها جزءاً من حياة الطفل؛ مثل برنامج «افتح يا سمسم» وغيره من البرامج أخرى في الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية كتلك البرامج التي تأخذ شكل مسابقات فكرية وأدبية بين الأطفال في سنوات مختلفة، مما يدفع بالطفل إلى مزيد من القراءة لاكتساب أكبر قدر من المعلومات المختلفة، وبالتالي تغرس فيه حب القراءة، باعتبارها الطريق الذي يؤدي إلى الحصول على المعرفة في مجالاتها المختلفة.

وقد تكثر وتتنوع الأدلة التي توضح وتبين أهمية القراءة عن الإنسان، طفلاً أو راشداً، ولكن أعظم هذه الأدلة على الإطلاق هو أن أول أمر إلهي يتلقّاه الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيذاناً ببدء نزول الوحي عليه كان الأمر بالقراءة (اقرأ)، فكان ذلك بياناً واضحاً عن أهمية القراءة في حياة المسلم، فعن طريق القراءة يمكن للمسلم ـ قراءة «القرآن الكريم» والوقوف على معانيه وإرشاداته، وحكمه وقصصه، وما به من منافع مختلفة، وكفى بالقرآن الكريم دليلاً وهادياً.